

الرَّسَّالَة ١٠٦

يَقْطِينَة يُونَانَ

(Arabic - Jonah's vine)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: يَقْطِينَة يُونَانَ.

ومن سفر يُونَانَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ نَقْرَأُ الْعَدَدَ السَّادِسَ:

"فَاعَدَّ الرَّبُّ الْإِلَهَ يَقْطِينَةَ فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ لِكَيْ يُخْلِصَهُ مِنْ غَمِّهِ".^١

إِنَّ قِصَّةَ هُرُوبِ يُونَانَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ إِلَى تَرْشِيشٍ تَذَكَّرْنِي بِمَا سَجَّلَهُ الْوَحْيُ عَنْ آدَمَ وَحَوَاءَ الَّذِينَ وَقَعَا فِي الْمَعْصِيَةِ وَلَمْ يُطِيعَا وَصِيَّةَ اللَّهِ لَهُمَا. إِذْ أَتَهُمَا لَمَّا أَذْرَكَا فِدَاحَةَ مَا ارْتَكَبَا اخْتِبَاءً أَدَمَ وَأَمْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْحَنَةِ. وَاخْتِبَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْ وَجْهِ اللَّهِ أَوْ هُرُوبِهِ وَتَخْلِيهِ عَنْ مَسْئُولِيَّتِهِ هُوَ أخطرُ مَا يُبْتَلَى بِهِ الْمُؤْمِنُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَتْرُكُنَا فِيمَا ابْتَلَيْنَا بِهِ. بَلْ يَمِدُّ لَنَا يَدَ الْمَعُونَةِ فِي الْحَالِ وَيُعَالِجُ الْأَمْرَ فِي حِينِهِ. وَذَلِكَ مَا حَدَّثَ مَعَ يُونَانَ النَّبِيِّ عِنْدَمَا حَاوَلَ الْهُرُوبَ مِنَ الْخَطِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَرْسُومَةِ لِحَيَاتِهِ. وَشَبِيهَةٌ بِهِ مَا حَدَّثَ لَأَدَمَ وَأَمْرَأَتَهُ إِذْ أَبْطَلَ اللَّهُ خُطِيئَةَ إِبْلِيسَ لِهَلَاكِهِمَا أَبَدِيًّا. وَلِفَائِدَتِنَا تَنَاقُشُ بَعْضًا مِنْ أَعْرَاضِ حَالَةِ الْهُرُوبِ مِنَ الْخُطِيئَةِ الَّتِي سَبَقَ وَأَعَدَّهَا اللَّهُ لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا وَطَرُقَ اللَّهُ لِعِلَاجِ ضَحَايَا خِدَاعِ إِبْلِيسَ الْهَارِبِينَ مِنَ الْخُطِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَرْسُومَةِ لِحَيَاتِهِمْ.^٢

أولاً: استبدالُ الهاربِ خطيةِ الله بخطيةِ مَنْ صنَّعه أو مَنْ صنَّعَ إِبْلِيسَ.. إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تَعْلُنُ أَنْ "كُلُّ مُؤْمِنٍ مَخْلُوقٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ اللَّهُ فَاَعَدَّهَا لِكَيْ يَسْلُكَ فِيهَا". وَلَكِنْ مَا يُوَسِّفُ كَثِيرًا هُوَ انْحِرَافُ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَسْلُكُونَ فِيمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ بَلْ يَهْرَبُونَ مُتَجَهِّينَ عَكْسَ الْإِتِّجَاهِ الْمَطْلُوبِ وَيَقُومُونَ بِإِجْرَاءِ تَعْدِيلٍ فِي خُطِيئَةِ اللَّهِ الَّتِي رَسَمَهَا لَهُمْ. فَلَمْ يَذْهَبِ يُونَانَ إِلَى نِينَوَى حَسَبَ مَا أَشَارَ الرَّبُّ عَلَيْهِ وَقَرَّرَ الْإِتِّجَاهَ إِلَى تَرْشِيشٍ.^٣

ثانياً: اهتمامُهُ كَلِيًّا بِذَاتِهِ وَعَدَمُ مَبَالَاغَتِهِ بِالنَّفُوسِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَى مَعُونَتِهِ.. يُسَعِّدُهُ اِهْتِمَامُ الْأَخْرِيِّينَ بِاحْتِيَاجَاتِهِمْ وَلَا يُحْرِكُ سَاكِنًا إِذَا سَأَلَهُ أَخُوهُ الْعَوْنَ فِي مِحْنَةٍ صَادَقَتُهُ. إِنَّ فَتْوَرَ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُ إِخْوَتَهُ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ إِذَا كَانَ قَدْ اخْتَبَرَ الْإِيمَانَ أَمْ لَا. قَالَ يُوحَنَّا الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى: "إِنَّ قَالَ أَحَدٌ إِنِّي أَحَبُّ اللَّهِ وَأُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ كَاذِبٌ. لِأَنَّ مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أُبْصِرُهُ كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ". لَقَدْ سَاءَ فِي عَيْنِي الرَّبُّ رُؤْيَةً مَدِينَةَ نِينَوَى فِي قِيُودِ الشَّرِّ فَقَالَ لِيُونَانَ النَّبِيِّ: "قُمْ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى". وَلَكِنْ يُونَانَ قَرَّرَ الْهُرُوبَ إِلَى تَرْشِيشٍ. لَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْقِذَ أَهْلَ نِينَوَى الْأَشْرَارَ لِنُحُودِ الْخِرَافِ الضَّالَّةِ إِلَى حَظِيرَةِ الرَّاعِي الصَّالِحِ. وَلَكِنْ يُونَانَ كَانَ يُعَانِي مَا يُعَانِيهِ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ. مِنْ فَتْوَرِ الْمَحَبَّةِ أَوْ انْعِدَامِهَا نَحْوَ الْخُطَاةِ الَّذِينَ احْتَالَ إِبْلِيسُ عَلَيْهِمْ وَقَبِدَهُمْ بِقِيُودِهِ.^٤

ثالثاً: انخداعُ الهاربِ بتسهيلاتِ إِبْلِيسَ وَهُوَ يُمَهِّدُ لَهُ طَرِيقَ الْهُرُوبِ.. الَّتِي لَا تَتَّفَقُ وَمَشِيئَةَ اللَّهِ. فَحِينَ نَزَلَ يُونَانَ إِلَى يَافَا وَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشٍ. رَبَّمَا ظَنَّنَهَا عَلَامَةً أَنَّ الرَّبَّ وَافَقَ عَلَى تَعْدِيلِ الْخُطِيئَةِ الْمَرْسُومَةِ. فَنَزَلَ إِلَى السَفِينَةِ وَدَفَعَ أَجْرَتَهَا. كَانَ الْمَالُ مُتَوَفراً لِدَفْعِ أَجْرَةِ الْهُرُوبِ!. لَبِئْسَ نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا عِنْدَمَا نَنْفِقُ أَمْوَالَنَا هَلْ مَا نَنْفِقُهُ يَنْفِقُ مَعَ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَيُحَقِّقُ قَصْدَهُ؟. أَمْ يَنْفِقُ مَعَ مَشِيئَةِ إِبْلِيسَ وَيُحَقِّقُ هَدَفَ الْعَدُوِّ بِإِعْرَافِ الْمُؤْمِنِ بِلَذَّةٍ وَقَتِيئَةٍ.

رابعاً: انطواءُ قلبِ الهاربِ على أسرارِ ونوايا لا يَرْضَى الرَّبُّ عَنَّا وَالْمُخَالِطُونَ لَهُ لَا يَدْرُونَ.. أَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحاً شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ فَحَدَّثَتْ نَوْءَ عَظِيمٍ حَتَّى كَادَتْ السَفِينَةُ تَنْكَسِرُ فَخَافَ الْمَلَاخُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلَهِهِ أَمَّا يُونَانَ فَلَمْ يَرْفَعْ صَلَاةً فِي السَفِينَةِ إِلَى إِلَهِهِ فَلَقَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِهَا وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلًا. لَمْ يَعْرِفُوا سَبَابَ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ وَالْأَخْطَارِ وَالْخَسَائِرِ الَّتِي يَتَعَرَّضُونَ لَهَا وَلَكِنْ يُونَانَ النَّبِيُّ يَعْرِفُ!. لَقَدْ طَرَحَ الْمَلَاخُونَ

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر يونان ٤: ٦

^٢ سفر التكوين ٣: ٨ - ١٣ ، إنجيل يوحنا ٣: ١٤ - ٢١

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ١٠ ، سفر يونان ١: ٣

^٤ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ٧ & ٨ & ٢٠ ، سفر يونان ١: ١ - ٣

الأمّعة من السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم. لقد فقدوا أمتعتهم وكادوا يفقدون سفينتهم وأرواحهم فأيقظوا يونان ليصلى!. ولما سألوه عن نفسه قال لهم: "أنا عبراني وأنا خائف من الربّ إله السماء الذي صنّع البحر والبر".^١

خامساً: توبيخ أهل العالم للمؤمن الذي لا يعرف مكانة اللاتق به.. لقد جاء رئيس النوتية إلى يونان وقال له: "مالك نائماً؟! قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفكر الإله فينا فلا نهلك". وحين ألقوا قرعاً ليعرفوا سبب البلية. وقعت القرعة على يونان فاعترف أن ما حدث كان هو سببه وأشار عليهم بأن يطرحوه في اليم ليسكن البحر عنهم ولكن النوتية حاولوا علاج الموقف بالعودة إلى البر فلم يستطيعوا فاضطروا إلى طرح يونان في البحر فتوقف البحر عن هياجه. وحدث أن أعد الله حوتاً ابتلع يونان ولم يلحق يونان ضرراً. وبعد ثلاثة أيام أمر الربّ الحوت فقفز يونان إلى البر ونجا رجل الله الهارب. لقد عالج الربّ مشكلة يونان وردّه إليه ثانية واستجاب يونان بطاعة كاملة. ونسرد الآن وسائل الربّ التي عالج بها نبيه الهارب.. ومنها نتعلم دروساً نافعة لحياتنا الروحية.^٢

(أولاً): أوقف الله خطة يونان التي رسمها للهروب وأعادته إلى وضعه الأول.. إن الله لا يشاء هلاك أحد فلم يسمح بهلاك يونان. ولكن ما صنعه الله مع عبده يونان هو أنه أوقف خطته التي رسمها للهروب من وجه الربّ وأعادته إليه. فلقد جاء برسالة بطرس الرسول الثانية هذا الوعد حتى لا نقسل من رحمة الله وهو: "أن الله يتأني علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة". لم يوقف الله خدمة يونان بل أعاده إلى مركزه الأول وقال له لمرّة ثانية: "قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادى لها المناداة التي أنا أكلّمك بها. فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الربّ فأمّن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم".^٣ ويسجل الوحي الإلهي هذا القول: "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ذم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه".^٤

(ثانياً): أرسل الربّ ريحاً شديدة إلى البحر ثم أعد حوتاً عظيماً لابتلع يونان.. لثلاثة أيام وثلاث ليال تم أمر الربّ الحوت فقفز يونان إلى البر. لقد تعلم يونان أعظم درس لينا نتعلمه. فقد صلى يونان إلى الربّ إله من جوف الحوت وقال: "دعوت من ضيق الربّ فاستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي. الذين يرعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم. أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفى بما نذرت. للربّ الخلاص". ليس من حدث يمر على أولاد الله إلا وكان قصد الله منه خيرهم وعلى الخصوص الذي انحرف هارباً من المسؤولية التي إلتئمها الله عليها. فانه يمهّد له طريقاً للعودة إليه. لينا نتعظ ونسارع إليه في طاعة وحمد لاسمه واعتراف بفضل. إن الله لا يعدم وسيلة كي يردّ النفس الضالة. فهو يغمرها بحبه وعطفه وإشفاقه عليها من أجل اسمه.^٥

(ثالثاً): علاج القلب المصاب بتفور المحبة وعدم المبالاة.. قلنا سابقاً إن أخطر الأعراض التي تظهر بوضوح على المؤمن حين يهرب من وجه الله هو اهتمامه كلياً بذاته وعدم مبالاة بالنفوس المحتاجة إلى معونته. وهذا ما عالجته الربّ في شخصية يونان. لقد كان الربّ يعرف حاجة يونان إلى القلب الجديد الذي يشفق على النفوس التي خلقها الله على صورته ولكنها انخدعت بحيل الحية القديمة. عالج الربّ يونان وذلك بأن أعد يقطينة لتظلل يونان من حرارة الشمس الشديدة ففرح يونان بها. ولكن في اليوم التالي أعد الله دودة ضربت اليقطينة فبيست فحزن يونان عليها ثم أعد الله ريحاً شرقية حارة فضربت الشمس على رأس يونان فاعتاظ فقال الله ليونان: "أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد بها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم!"^٦

عزيزي القارئ.. لعلك تعلمت اليوم معي درساً فيما تأملنا بكلمة الله. والآن أدعوك لتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. اختبرني واعرف قلبي امتحني واعرف أفكارى وأنظر إن كان فيّ طريق باطل واهديني طريقاً أدياً.. أصلى في اسم يسوع مخلصي فأقبلني سيدي يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر يونان ١: ٤ - ١٠

^٢ سفر يونان ١: ٦ - ١٧ & ١: ١ - ٣

^٣ رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ٩ ، سفر يونان ٣: ١ - ١٠

^٤ سفر يونان ٢: ١ - ١٠

^٥ سفر يونان ٤: ١ - ١١